بسم الله الرحمن الرحيم

يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ اتَّقُواْ اللّهَ وَكُونُواْ مَعَ

الصادقين

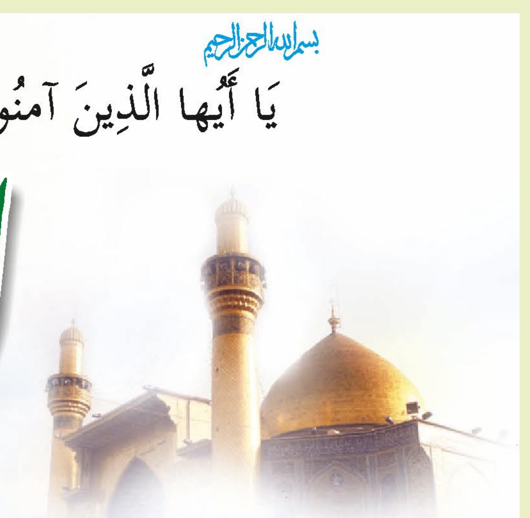

الإسلام محتاج الى جميع أبنائه

الجمعة ٢٤ شعبان ١٤٤٤ هـ / ١٧ آذار ٢٠٢٣م العدد ٢٣١

نشرة تصدر عن المكتب الاعلامي متخصصة بنقل أحاديث وخطابات وفتاوي وأخبار سماحة المرجع الديني الشيخ محمد اليعقوبي (دام ظله)

﴿يُخْرِبُونَ بُيُوتَهُمْ بِأَيْدِيهِمْ وَأَيْدِي الْمُؤْمِنِينَ فَاعْتَبِرُوا يَا أُولِي الْأَبْصَارِ﴾ أسباب انهيار الحضارات والدول

العقيلة زينب (عليها السلام) تبشّر بعصر انتشار الإسلام الذي نعيشه(١)

الحمد لله إننا نعيش عصر انتصار الإسلام المحمدي الأصيل وتقدمّه، وإقبالَ البشرية عليه، وفي ذلك تصديق للوعد الإلهي الذي نقلته لنا العقيلة زينب (عليها السلام) بنت أمير المؤمنين (صلوات ربي عليهم اجمعين) عن جدها رسول الله (صلى الله عليه وآله) وحديثها عن ابنَ أخيها الإمام السجاد (عليه السلام) لتسليته ولتخفيف مصيبته بأبيه الإمام الحسين (عليه السلام) وأهل بيته، لما مرّ بهم جيش اللعين عمر بن سعد على مصارع الإمام الحسين (عليه السلام) وأصحابه ووجدهم مجزّرين كالأضاحي مقطوعي الرؤوس فكاد الإمام السجاد (عليه السلام) أن يموت ألماً وحزناً وهو يرى حجة الله في أرضه وسيد شباب أهل الجنة وريحانة رسول الله (صلى الله عليه وآله) بهذا الحال.

فقد روى الشيخ الجليل إبن قولويه في كامل الزيارات عن الإمام السجاد (عليه السلام) حديثاً طويلاً عن فضل زيارة الإمام الحسين (عليه السلام) جاء فيه (إنه لما أصابنا بالطف ما أصابنا، وقُتِل أبي (عليه السلام)، وقُتِل من كان معه من ولده وإخوته وساير أهله، وحملت حرمه ونساؤه على الأقتاب يراد بنا الكوفة، فجعلت أنظر إليهم صرعى، ولم يواروا، فيعظم ذلك في صدري، ويشتَّد لما أرى منهم قلقي فكادت نفسي تخرج، وتبيَّنت ذلك مني عمتي زينب بنت علي الكبرى، فقالت مالي أراك تجود بنفسك يا بقية جدي وأبي وإخوتي) ثم قالت (عليها السلام) (لا يجزعنك ما ترى فوالله إن ذلك لعهد من رسول الله (صلى الله عليه وآله) إلى جدك وأبيك وعمك، ولقد أخذ الله ميثاق أناس من هذه الأمة لا تعرفهم فراعنة هذه الأرض، وهم معروفون في أهل السماوات أنهم يجمعون هذه الأعضاء المتفرقة فيوارونها، وهذه الجسوم المضرجة وينصبون لهذا الطف علماً لقبر أبيك سيد الشهداء (عليه السلام) لا يدرس أثره، ولا يعفو رسمه، على كرور الليالي والأيام وليجتهدّن أئمة الكفر وأشياع الضلالة في محوه وتطميسه فلا يزداد أثره إلا ظهوراً و: أمره إلا علواً)(٢).

إن هذه النعمة الإلهية العظيمة التي انقضت أجيال بعد أجيال من أسلافنا الصالحين ولم يدركوها وأدركناها نحن بفضل الله تعالى، توجب علينا أن نرتقي ونتكامل بالتقوى والإخلاص والعمل الصالح والأخلاق الفاضلة لنكون أهلاً لها فلا نسلبّها ونحرم منها، ويلزمنا أيضاً حق المحافظة عليها وإدامتها ونشرها ﴿وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ﴾ [الضحى: ١١] حتى يزداد المؤمنون إيماناً، ويتعرف عليها من لا يعرفها وأن لا نقصر في ذلك، بكل وسائل النشر والتبليغ والإعلام والترويج المتاحة وهي كثيرة ومتنوعة وفاعلة.

لنكون من الممهدين حقاً لإتمام الوعد الإلهي بالتمكين والاستخلاف ووراثة الأرض على يد الإمام المهدي الموعود (أرواحنا لمقدمه الفدا) قال تعالى ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنْ تَنْصُرُوا اللَّهَ يَنْصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ﴾ [محمد: ٧].

---

(١) من حديث سماحة المرجع الديني الشيخ محمد اليعقوبي (دام ظله) يوم الخميس ١٧/رجب/١٤٤٤ الموافق ٩ / ٢ / ٢٠٢٣ مع حشد من الطلبة الأكاديميين الذين نظّم لهم ملتقى العلم والدين دورات في العلوم الدينية والتنمية البشرية خلال العطلة الربيعية.

(٢) كامل الزيارات: ٢٥٩، بحار الأنوار: ٢٨ /٥٦

لنقرّب يوم الظهور الميمون(٣)

تترقب البشرية إعلان المصلح العظيم (ارواحنا له الفداء) عن نفسه الشريفة وتزداد لهفتها للقائه وقيادته الربانية لمشروع إصلاحي شامل فقد أرهقها العدوان والظلم والاستكبار والانحراف والضلال وتسلّط الحمقى والتافهين وتحكّم مافيات الهلاك والخراب التي تدير السياسة العالمية وتمسك بخيوطها، وأرّقها الخوف والقلق واليأس والإحباط والامراض النفسية.

إننا نعيش اليوم في ظل الجاهلية الثانية التي تُفهم من لحن قوله تعالى ﴿وَلَا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ الْجَاهِلِيَّةِ الْأُولَى﴾ [الأحزاب: ٣٣] فإن فيها إشارة الى جاهلية أخرى آتية، وقد انحدرت فيها البشرية الى فعل ما هو أسوأ مما قامت به تلك الأمم وجمعت كل مفاسدها وضلالاتها وزادت عليها وأضفت عليها شرعية بما تسنُّ لها من قوانين لحمايتها ومنع انتقادها ومناقشتها، كالمثلية وتغيير جنس الأطفال حتى أجازوا الانتحار تحت عنوان (القتل الرحيم) وأنشأوا له عيادات طبية خاصة.

وقد كان يبعث الله تعالى أنبياء ومرسلين في مثل هذه المفاصل من تأريخ البشرية حتى بلغ عددهم مئة وأربعة وعشرين ألف نبي ليستنقذوا ما يمكن إنقاذه وإعادة الرشد الى الناس والحياة إلى ضمائرهم وإثارة فطرتهم السليمة، أما بعد بعثة النبي (صلى الله عليه وآله) خاتم الأنبياء فإنه لا نبوة ولا رسالة، واوكلت وظيفة هداية الأمة وإصلاحها وقيادتها نحو السعادة والفلاح في عصر الغيبة الى ورثة الأنبياء وهم العلماء العاملون الواعون المخلصون.

اما الإصلاح الشامل الكامل وتحقق وعد الله تعالى بالتمكين واستخلاف المؤمنين والهيمنة على سائر الأنظمة الوضعية ﴿لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ﴾ [الفتح: ٢٨]، فإنه يكون على يد الإمام المهدي الموعود (عليه السلام).

فالمأمول من إخواننا المؤمنين وأخواتنا المؤمنات في سائر بقاع الأرض خصوصاً التجمع المليوني ليلة النصف من شعبان عند أبي الأحرار الإمام الحسين السبط الشهيد (عليه السلام) ومعهم المؤمنون المعتمرون عند الكعبة الشريفة والمسجد النبوي المطهر وزوّار أمير المؤمنين (عليه السلام) وسائر العتبات المقدسة والبقاع المعظّمة أن يضجّوا بصدق وإخلاص ولهفة طالبين مِنَ الله تبارك وتعالى تعجيل ظهور بقيته الأعظم قرّة عين الرسول وآله الطاهرين (صلى الله عليهم أجمعين).

روي عن الإمام الصادق (عليه السلام) قوله: (فلما طال على بني إسرائيل العذاب... ضجّوا وبكوا الى الله أربعين صباحاً فأوحى الله الى موسى وهارون أن يخلصّهم من فرعون فحطّ عنهم سبعين ومائة(٤) سنة، هكذا أنتم لو فعلتم لفرّج الله عنّا. فأما إذا لم تكونوا فإن الأمر ينتهي الى منتهاه)(٥).

إن قضية الاستسقاء وطلب نزول المطر ليست أهم من تعجيل الظهور الميمون وقد ذُكِر في مستحبات صلاة الاستسقاء أن يخرجوا إلى صحراء ويفرّقوا بين الأمهات ورضعانها والحيوانات وصغارها وأن يتوبوا بصدق لتتحقق حالة الاضطرار والمسكنة والتلهف لنزول الرحمة ﴿أَمَّنْ يُجِيبُ الْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ السُّوءَ﴾ [النمل: ٦٢] فالمطالبة بتعجيل الظهور أولى باستحضار هذه الحالة.

إن الترقب والانتظار لمثل هذا الحدث العظيم يستلزم الاستعداد المناسب له كأي اختبار ينتظر الإنسان الدخول(٦) فيه، وإنما يتحقق الاستعداد بالإخلاص لله تعالى والورع والتفقه في الدين والتحلي بالأخلاق الفاضلة وطاعة القيادة الربانية الرشيدة والترفع عن الباطل وحب الدنيا وتوافه الأمور. ﴿قُلِ انْتَظِرُوا إِنَّا مُنْتَظِرُونَ﴾ [الأنعام: ١٥٨].

---

(٣) بيان تلاه سماحة المرجع الديني الشيخ محمد اليعقوبي (دام ظله)، بمناسبة حلول ليلة النصف من شعبان المبارك يوم ٧ /٣ /٢٠٢٣

(٤) أي أنهم كان مقدراً لهم استمرار العذاب والالم والشقاء مئة وسبعين سنة بحسب استحقاقهم لكنهم لمّا تابوا وضجّوا وبكوا عجّل الله تعالى لهم الفرج كل هذه المدة.

(٥) بحار الانوار: ٥٢/ ١٣٢.

(٦) كالامتحانات المدرسية.

﴿يُخْرِبُونَ بُيُوتَهُمْ بِأَيْدِيهِمْ وَأَيْدِي الْمُؤْمِنِينَ فَاعْتَبِرُوا يَا أُولِي الْأَبْصَارِ﴾ [الحشر: ٢]

أسباب انهيار الحضارات والدول(٧)

سورة الحشر جليلة القدر ووردت بعض الروايات في فضلها والثواب العظيم في تلاوتها، كالمروي عن رسول الله (صلى الله عليه وآله) (من قرأ سورة الحشر لم يبق جنة ولا نار ولا عرش ولا كرسي ولا الحجب والسماوات السبع ولا الأرضون السبع والهواء والريح والطير والشجر والجبال والشمس والقمر والملائكة إلا صلوا عليه واستغفروا له، وإن مات في يومه أو في ليلته مات شهيداً)(٨)، وقوله (صلى الله عليه وآله): (من قرأ هذه السورة كان من حزب الله المفلحين، ولم يبق جنة ولا نار ولا عرش ولا كرسي.. الحديث)(٩).

وهي تحكي تفاصيل غزوة بني النَضير وهم إحدى قبائل اليهود الثلاث الذين سكنوا حول المدينة ترقباً للنبي الموعود الذي تكون دولته في أرض يثرب فأرادوها لهم. وقد وقعت في ربيع الأول من السنة الرابعة للهجرة أي بعد معركة أُحُد بستة أشهر، وكان النبي (صلى الله عليه وآله) قد عقد معاهدة سلام وحسن جوار مع اليهود عند نزوله المدينة، وكفل لهم حقوقهم لكن بني النَضير نقضوا العهد وتحالف وفدٌ منهم برئاسة زعيمهم كعب بن الأشرف مع قريش لمناصرتهم عند هجومهم على المدينة، فأخبر الله تعالى نبيّه بهذا الحلف، ثم إنهم تآمروا على قتل النبي (صلى الله عليه وآله) حين قصدهم مع جمع من أصحابه طالباً المساعدة في دفع دية قتيلين من بني عامر وهم حلفاء بني النَضير كان أحد المسلمين قد قتلهما اشتباهاً، فصعد أحدهم إلى سطح دار كان النبي (صلى الله عليه وآله) يستند إلى جدارها ومعه حجر كبير ليقتل به رسول الله (صلى الله عليه وآله)، فأعلمه الله تعالى بعزم القوم فعاد النبي (صلى الله عليه وآله) إلى المدينة فوراً وأرسل وفداً إليهم يأمرهم بالجلاء عن المدينة فلم يكترثوا وأجابوه بالتحدي والحرب، فأمر أصحابه بالاستعداد لتأديب بني النضير الذين ظنوا أن لا أحد يقدر على غلبتهم وإخراجهم من أرضهم لقوتهم المادية والعددية فاغتروا بها وغفلوا عن قدرة الله تعالى على فعل ما يريد سبحانه بجنود لايرونهم وهذا هو تفكير القوى المادية وهو قائم إلى اليوم، فتحصّنوا بقلاعهم ﴿مَا ظَنَنْتُمْ أَنْ يَخْرُجُوا وَظَنُّوا أَنَّهُمْ مَانِعَتُهُمْ حُصُونُهُمْ مِنَ اللَّهِ فَأَتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ حَيْثُ لَمْ يَحْتَسِبُوا وَقَذَفَ فِي قُلُوبِهِمُ الرُّعْبَ﴾ [الحشر: ٢] فلم يتوقع أحد منهم ولا من المسلمين هزيمتهم بهذه السهولة، لكنَّ الله تعالى شاء ذلك وفعل وأجرى إرادته بأيديهم جلّت قدرته، وأغراهم انهزام المسلمين في معركة أحد فظنوا أنهم قادرون على المواجهة، وخدعهم منافقو المدينة بأننا سننصركم ونقاتل معكم إن حاربتم النبي (صلى الله عليه وآله) لكنهم خذلوهم ولم يفوا لهم، قال تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ نَافَقُوا يَقُولُونَ لِإِخْوَانِهِمُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَئِنْ أُخْرِجْتُمْ لَنَخْرُجَنَّ مَعَكُمْ وَلَا نُطِيعُ فِيكُمْ أَحَدًا أَبَدًا وَإِنْ قُوتِلْتُمْ لَنَنْصُرَنَّكُمْ وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ (١١) لَئِنْ أُخْرِجُوا لَا يَخْرُجُونَ مَعَهُمْ وَلَئِنْ قُوتِلُوا لَا يَنْصُرُونَهُمْ وَلَئِنْ نَصَرُوهُمْ لَيُوَلُّنَّ الْأَدْبَارَ ثُمَّ لَا يُنْصَرُونَ﴾ [الحشر: ١١-١٢]، وقاموا بعدة محاولات لإحداث خرق في جيش المسلمين لكنهم لم يفلحوا وأفشل أمير المؤمنين (عليه السلام) وعشرة من الأصحاب هذه المحاولات البائسة وقتلَ (عليه السلام) رأسَ الجماعة المهاجمة(١٠)، وأستمر الحصار حتى دخلهم اليأس مضافاً إلى وهنهم بقتل رئيسهم كعب بن الأشرف(١١) قبل ذلك حيث اغتاله أحدُ المسلمين بأمر رسول الله (صلى الله عليه وآله) لأنه كان يحرّض قريشاً على الثأر لقتلى بدر ويتعرض للنساء المسلمات ويتغزل بهن ويؤذيهن, وقد تملّكهم الرعب فوافقوا على ما عرضه رسول الله (صلى الله عليه وآله) عليهم من الجلاء عن أرضهم وديارهم وممتلكاتهم وتركها للمسلمين مقابل سلامتهم ولهم ما حملت الإبل عدا السلاح ((فكان الرجل منهم يهدم بيته عن نجاف(١٢) بابه، فيضعه على ظهر بعيره فينطلق به))(١٣).

أقول: وهذا ما أشير إليه بقوله تعالى: ﴿يُخْرِبُونَ بُيُوتَهُمْ بِأَيْدِيهِمْ﴾ [الحشر: ٢] لأخذ ما يمكن حمله ولتشكّل الأنقاض عائقاً أمام تقدم المسلمين كما تفعل الجيوش المنسحبة عادةً، ولكي لا تقع صالحةً سليمة بأيدي المسلمين فيستفيدوا منها، ﴿وَأَيْدِي الْمُؤْمِنِينَ﴾ فكان المسلمون -من الخارج- يهدمون ما يعيق حركتهم من الحصون وهم يخربونها من الداخل. فذهب بعضهم إلى خيبر وآخرون إلى الشام وقيل إلى الحيرة(١٤) أيضاً. وهو الجلاء والحشر الذي ذكرته السورة وسميت به ﴿هُوَ الَّذِي أَخْرَجَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ مِنْ دِيَارِهِمْ لِأَوَّلِ الْحَشْرِ﴾ [الحشر: ٢].

ولأن النخيل كانت تشكل مانعاً طبيعياً يمنع تقدم المسلمين والاشتباك المباشر مع العدو ويعطي أملاً للعدو بالأمن والسلامة مما يطيل أمد الحرب، فقد أمر النبي (صلى الله عليه وآله) بقطع بعض النخيل التي لا يقتاتون منها وحرقها، وأستغل اليهود هذا الفعل لإثارة الشبهة والشك في فعل النبي (صلى الله عليه وآله) وقيادته المباركة، فنزهه الله تعالى عن سوء الفعل، وقال سبحانه مشيراً إلى هذه الحركة العسكرية بقوله سبحانه ﴿مَا قَطَعْتُمْ مِنْ لِينَةٍ أَوْ تَرَكْتُمُوهَا قَائِمَةً عَلَى أُصُولِهَا فَبِإِذْنِ اللَّهِ وَلِيُخْزِيَ الْفَاسِقِينَ﴾ [الحشر: ٥] فهذا الفعل بأمر الله تعالى ولم يكن فساداً في الأرض ولا انتقاماً ولا عبثاً.

ثم أمرت الآية الكريمة بأخذ العبرة والموعظة من هذه الحوادث ﴿فَاعْتَبِرُوا يَا أُولِي الْأَبْصَارِ﴾ حتى لا يكرروا الخطأ، لكن بني النضير لم يعتبروا بالقبيلة اليهودية التي سبقتهم إلى التمرد ونقض العهد، وهم بنو قينقاع قال الله تعالى: ﴿كَمَثَلِ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ قَرِيبًا ذَاقُوا وَبَالَ أَمْرِهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [الحشر: ١٥] حيث غزاهم النبي (صلى الله عليه وآله) بعد معركة بدر وأوقع بهم.

إن عنوان البيت في الآية الكريمة يمكن توسعته إلى المأوى المعنوي والاعتباري الذي يلجأ إليه الأفراد ويجتمعون فيه ويستمدون منه هويتهم، ويجدون فيه ما يحتاجون من أسباب الأمن والاستقرار والرفاه والسعادة، كالدولة والأمة والحضارة، وحينئذٍ يكون معنى تخريبهم لبيوتهم هو عدم المحافظة على أوضاعهم الاقتصادية القوية واستقرارهم الأمني ونفوذهم الاجتماعي بتوجههم إلى الغدر ونقض العهد مع رسول الله (صلى الله عليه وآله) والتآمر على قتله.

وبناءً على هذا التوسع في المعنى نستطيع القول: إن هذا الجزء من الآية الكريمة يؤسس نظرية اجتماعية سياسية في فهم سرّ انهيار الحضارات والدول والمجتمعات بأنها ترجع إلى عاملين:

١-**خارجي:** وهم الأعداء المتربصون الذين ينتظرون الفرصة المؤاتية للانقضاض عليهم وإحكام السيطرة عليهم.

٢-**داخلي:** لفقدانهم الروح المعنوية وتعويلهم على القوى المادية من سلاح ومال وكثرة عددية وهي وحدها لا تصنع النصر. وهذا العامل الداخلي هو الأقوى في التأثير، وقد لا يحتاج العدو الخارجي إلى أكثر من إحداث هذه الهزيمة الداخلية.

وهذا ما حصل لبني النضير فقد هُزموا من داخلهم من دون قتال وسلّموا أراضيهم وأموالهم وممتلكاتهم مقابل النجاة بأنفسهم وهي نتيجة طبيعية لمن لا يمتلك مبادئ سامية يقاتل من أجلها.

وهذه النظرية جديرةٌ بالتأمل والاعتبار كما أمرت به الآية الكريمة، والاستفادة منها في صراع الحضارات، وقد ذكرت السورة جملة من هذه العوامل الداخلية التي تنخر كيان الأمة وتمزّقها وتضعفها وحذّرت منها وعلى رأسها:

١-فقدان التقوى والوازع الديني ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَلْتَنْظُرْ نَفْسٌ مَا قَدَّمَتْ لِغَدٍ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ ۞ وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ نَسُوا اللَّهَ فَأَنْسَاهُمْ أَنْفُسَهُمْ أُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ﴾ [الحشر: ١٨-١٩].

٢-عدم طاعة القيادة الحقة ﴿وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾ [الحشر: ٧].

٣-الاستئثار بالمال والتمايز الطبقي وغياب العدالة الاجتماعية ﴿كَيْ لَا يَكُونَ دُولَةً بَيْنَ الْأَغْنِيَاءِ مِنْكُمْ﴾ [الحشر: ٧].

٤-الخلافات الداخلية بسبب التعصب والعنصرية والتحزب مما يؤدي الى صراعات تمزق الأمة لذا شدَّد على التماسك الاجتماعي ﴿وَالَّذِينَ تَبَوَّءُوا الدَّارَ وَالْإِيمَانَ مِنْ قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِمَّا أُوتُوا وَيُؤْثِرُونَ عَلَى أَنْفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ وَمَنْ يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ [الحشر: ٩].

ومن أمثلة التأريخية التي توضح هذه النظرية: هزيمة المسلمين في الأندلس بعد أن حكموها أكثر من ثمانمائة عام ولم تقدر الأمم الأوروبية على هزيمتهم، لكن ملوكهم لما انهمكوا في ملذاتهم ولهوهم وشهواتهم ولم يقيموا العدالة الاجتماعية وبدّدوا ثروات البلاد، وصمّوا اذانهم عن سماع الحق، وغفلوا عن أمور الشعب والدولة وأصبحت أمورها تدار من قبل الخدم والجواري وبعضهن من الجاسوسات الأوربيات وانشغل الأمراء بصراعاتهم الداخلية التي مزقتهم إلى دويلات وإمارات واستعان بعضهم بالممالك الأوربية على إخوانهم المسلمين، وبفقدانهم لكل القيم المعنوية ومقومات الصمود تمكنت جيوش الأعداء من هزيمتهم فاستسلموا وسلموا البلاد لهم ولحقهم خزي الدنيا وعذاب الآخرة بتضييعهم هذا الجزء المهم من بلاد المسلمين.

ومن التطبيقات المعاصرة لهذه النظرية الإتحاد السوفييتي الذي كان يمتلك قدرات هائلة مكّنته من الوقوف مقابل حلف شمال الأطلسي طيلة عقود الحرب الباردة، لكن

التتمة في الصفحة الرابعة

---

(٧) محاضرة ألقاها سماحة المرجع الديني الشيخ محمد اليعقوبي (دام ظله) على طلبة البحث الخارج ضمن سلسلة محاضراته في تفسير (من نور القرآن) يوم الأربعاء ٢٣/رجب/١٤٤٤ الموافق ١٥ /٢ /٢٠٢٣.

(٨) وسائل الشيعة: ٦/ ٢٥٧، أبواب قراءة القرآن ولو في غير الصلاة، باب ٥١، ح ٣١، ثواب الأعمال: ١١٨.

(٩) البرهان في تفسير القرآن، للسيد هاشم البحراني: ٥/ ٣٣١، تفسير سورة الحشر.

(١٠) راجع السيرة الحلبية: ج ٢-ص٥٦٢.

(١١) راجع تفاصيل الحادثة في سيرة ابن هشام:٣ /١٠٩.

(١٢) النجاف: عتبة الباب العليا.

(١٣) سيرة ابن هشام: ٣/ ١٠٩.

(١٤) مجمع البيان: ٩/ ٢٢٩.

﴿مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَى وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُ حَيَاةً طَيِّبَةً﴾ [النحل: ٩٧]

الإسلام يحقّق الرفاه في الدنيا والسعادة في الآخرة(١٥)

قال الله تبارك وتعالى ﴿مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَى وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُ حَيَاةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ [النحل: ٩٧].

وعدٌ من الله تعالى و﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يُخْلِفُ الْمِيعَادَ﴾ [آل عمران: ٩] على نحو قانون عام ثابت تنشرح له النفس ويطمئن به القلب وتنشط به الجوارح خصوصاً للنساء اللواتي صودرت حقوقهن وأهينت كرامتهن وأنقصت درجاتهن.

﴿مَنْ عَمِلَ صَالِحًا﴾ أيَّ عمل صالح، سواء كان العمل صغيراً أو كبيراً، ظاهراً أو خفياً، واحداً أو متعدداً فإنه مشمول بالآية الكريمة، وهذا يدعونا إلى عدم التقاعس عن القيام بأي عمل مادام صالحاً ولا نقلّل من شأن شيء منه، لأننا لا نعرف قيمة العمل ولا نعلم أثره، فقد اخفى الله تعالى رضاه في طاعته، حتى يكون ذلك حافزاً للقيام بكل عمل صالح.

﴿مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَى﴾ بيان للتأكيد على عدم الفرق بين الذكر والأنثى في العمل وفي الجزاء، ولا في الواجبات والاستحقاقات، فالخطاب لهما واحد على حد سواء، ولكل منهما القابلية على نيل الكمالات، وقد كانت ﴿مَنْ﴾ في بداية الآية كافية للدلالة بإطلاقها على شمولها للذكر والأنثى على السواء، لكن جيء بهذا التفصيل لتأكيد هذه الحقيقة، حيث سجّلت سورة النحل قبل ذلك عقيدة الجاهلية في الأنثى وضيق نفوسهم بها، وسطّرت جملة من صور احتقار المرأة كاستياء من يُبشَّر بولادتها وتواريه عن الناس قال تعالى في نفس سورة النحل: ﴿وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُمْ بِالْأُنْثَى ظَلَّ وَجْهُهُ مُسْوَدًّا وَهُوَ كَظِيمٌ ۞ يَتَوَارَى مِنَ الْقَوْمِ مِنْ سُوءِ مَا بُشِّرَ بِهِ أَيُمْسِكُهُ عَلَى هُونٍ أَمْ يَدُسُّهُ فِي التُّرَابِ أَلَا سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ﴾ [النحل: ٥٨-٥٩].

فتساوي الآية الكريمة بين الذكر والأنثى في العمل الصالح والجزاء الحسن بشرط أن يحسنوا مقدمات الحصول على الحياة الطيبة، ومنها مراعاة الاحكام الخاصة لكل منهما مضافاً الى الاحكام المشتركة بينهما ولا يجوز للمرأة تجاوزها باسم المساواة ونحو ذلك ﴿تِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ فَلَا تَعْتَدُوهَا وَمَنْ يَتَعَدَّ حُدُودَ اللَّهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾ [البقرة: ٢٢٩] وقد تتورط المرأة باسم العرفان والسلوك الى الله تعالى وتغريها بعض الكلمات المعسولة من قطّاع الطرق وشياطين الإنس فتقع فريسة لهم بسذاجتها وجهلها وكان عليها أن تعلم من أول الطريق أن (العفة رأس كل خير)(١٦) كما ورد عن الأمام علي ابن ابي طالب (عليه السلام) وهي قد أضاعت العفّة عندما ارتبطت بهؤلاء الماكرين على (الخاص) وتبادلوا الكلمات العاطفية فالحذر الحذر.

وفي الآية تطمين للمرأة بان حقها ثابت، وكرامتها محفوظة، وأن الامتهان والانتقاص الموجودين في القوانين الأرضية والدينية المُحرفة لا يمتّان إلى الدين الإلهي بصلة، وهذا غاية ما يُقال في المساواة بين الرجل والمرأة، ودعك من عقائد الجاهلية وأحاديث المتشددين بظلم المرأة والحيف عليها والمطالبة بحقوقها، فهذا هراء يُعرف القصد منه، ولن تجد الكرامة والعدالة والمساواة إلا في ظل الإسلام، وإنما يريدون بدعواتهم هذه إفساد المجتمع، وإخراج المرأة من عفافها وحيائها لتتحول إلى سلعة تحقق المتعة لهم، ثم يرمونها على قارعة الطريق.

﴿وَهُوَ مُؤْمِنٌ﴾ الواو حالية: فكون العمل صالحاً ظاهراً لا يكفي في الحصول على الدرجات الرفيعة، ما لم يقترن بالإيمان، وما لم يصدر بنية خالصة لله تبارك وتعالى ﴿وَمَنْ يَكْفُرْ بِالْإِيمَانِ فَقَدْ حَبِطَ عَمَلُهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾ [المائدة: ٥]، فكم من عمل يبدو صالحاً في نفسه إلا أنه غير مقبول، ولا يترتب عليه الجزاء الطيب لأنه لم يكن خالصاً لوجه الله تعالى، كمن ينفق ماله رياءً أو يقاتل عصبية أو لغنيمة يطلبها، فإن حظه يكون تحقق الغاية التي أرادها، روي عن النبي (صلى الله عليه وآله) قوله: (إنما الأعمال بالنيات، إنما لكل امرئ ما نوى، فمن كانت هجرته إلى الله ورسوله فهجرته إلى الله ورسوله، ومن كانت هجرته إلى دنيا يصيبها أو امرأة يتزوجها فهجرته إلى ما هاجر اليه)(١٧).

فلا بد أن يكون المؤمن دقيقاً من هذه الناحية ﴿بَلِ الْإِنْسَانُ عَلَى نَفْسِهِ بَصِيرَةٌ﴾ [القيامة: ١٤] وربما يظهر من بعض الروايات أن هذه النية تخفى حتى على الملك الرقيب على الإنسان، روى الشيخ الكليني في الكافي بسنده عن الإمام الصادق (عليه السلام) قال: (قال النبي (صلى الله عليه وآله) إن الملك ليصعد بعمل العبد مبتهجاً به، فاذا صعد بحسناته يقول الله عز وجل: اجعلوها في سجّين، إنه ليس إياي أراد بها)(١٨).

ولعل تقديم العمل على الإيمان في الآية لإلفات النظر إلى أن العمل يعكس حقيقة الإيمان، ويكشف عن صدقه ولا ينفع إيمان إلا مع عمل، كما لا ينفع العلم إلا بالعمل به.

﴿فَلَنُحْيِيَنَّهُ﴾ أي من يعمل صالحاً وهو مؤمن يفيض الله تعالى عليه حياة أخرى ارقى من الحياة الاعتيادية التي يشترك فيها مع جميع الناس، ولعلها المقصودة بالمرتبة الثالثة أو الرابعة من مراتب النفس الإنسانية بحسب تقسيم أمير المؤمنين (عليه السلام)(١٩)، وهي الحياة الإنسانية الحقيقية أما غير المؤمن فليس كذلك لأن حياته جسدية حيوانية لا تزيد عن فعاليات الحيوان فهو مثله يأكل ويشرب ويتحرك وينام وينكح، وقد يزيد على الحيوان بوجود عقل نظري يتقن به بعض العلوم لكنه يفتقد الحياة المعنوية التي يتميز بها الإنسان، واستحق بها أن يكون خليفة الله في أرضه؛ لذا ضرب القران الكريم مثلاً لحياة غير المؤمنين بالأرض الهامدة والميتة فاذا انزل الله تعالى عليها برحمته ماء الايمان والمعرفة بالله فإنها تنتعش وتزدهر قال تعالى: ﴿وَتَرَى الْأَرْضَ هَامِدَةً فَإِذَا أَنْزَلْنَا عَلَيْهَا الْمَاءَ اهْتَزَّتْ وَرَبَتْ وَأَنْبَتَتْ مِنْ كُلِّ زَوْجٍ بَهِيجٍ﴾ [الحج: ٥].

((فالجملة بلفظها دالة على أن الله سبحانه يكرّم المؤمن الذي يعمل صالحاً بحياة جديدة غير ما يشاركه سائر الناس من الحياة العامة، وليس المراد به تغيير صفة الحياة فيه وتبديل الخبيثة من الطيبة مع بقاء أصل الحياة على ما كانت عليه، ولو كان كذلك لقيل: لنطيبّن حياته فالآية نظير قوله تعالى ﴿أَوَمَنْ كَانَ مَيْتًا فَأَحْيَيْنَاهُ وَجَعَلْنَا لَهُ نُورًا يَمْشِي بِهِ فِي النَّاسِ﴾ [الأنعام: ١٢٢]))(٢٠).

((وليست هذه الحياة الجديدة المختصة بمنفصلة عن الحياة القديمة المشتركة، وإن كانت غيرها فإنما الاختلاف بالمراتب لا بالعدد فلا يتعدد بها الإنسان كما أن الروح القدسية التي يذكرها الله سبحانه للأنبياء لا توجب لهم إلا ارتفاع الدرجة دون تعدد الشخصية))(٢١).

﴿حَيَاةً طَيِّبَةً﴾ صفة للحياة التي يختص بها المؤمنون بلطف الله تعالى وتأييده ﴿أُولَئِكَ كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ الْإِيمَانَ وَأَيَّدَهُمْ بِرُوحٍ مِنْهُ﴾ [المجادلة: ٢٢] ويتنعمون بها، وهذا الوعد مطلق فهو لا يختص بحياة الآخرة وإنما يكون ذلك في الدنيا أيضاً ولا ينافي الآيات التي دلّت على اختصاص الآخرة بصفة الحياة باعتبارها المستمرة الباقية والحقيقية كقوله تعالى ﴿يَا لَيْتَنِي قَدَّمْتُ لِحَيَاتِي﴾ [الفجر: ٢٤] وقوله تعالى ﴿وَإِنَّ الدَّارَ الْآخِرَةَ لَهِيَ الْحَيَوَانُ﴾ [العنكبوت: ٦٤] فهذا الوصف بلحاظ خلودها وعدم فنائها في الدنيا، اما الوعد بالحياة الطيبة فإنه لحاظ آخر لا مانع من أن تكون مطلقاً فيشمل الدنيا بإطلاقه، فإن من ذكرتهم الآية يتنعمون بالجنة وهم في الدنيا، كما ورد في خطبة أمير المؤمنين (عليه السلام) في وصف المتقين: (....فَهُمْ وَالْجَنَّةُ كَمَنْ قَدْ رَآهَا فَهُمْ فِيهَا مُنَعَّمُونَ)(٢٢)، وتوجد أدلة من القرآن الكريم والسنّة الشريفة على أن الإنسان يعيش الجنة والنار في حياته الدنيوية بنحو من الأنحاء.

بل لعلَّ هذا الوعد متعيّن في الدنيا، لأن حسن جزاء الآخرة مذكور في نهاية الآية ﴿وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ﴾ وهو أوضح في قوله تعالى: ﴿وَمَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَى وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُولَئِكَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ يُرْزَقُونَ فِيهَا بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ [غافر: ٤٠].

ووصْفها بالطيبة مطلق ولا يختص بجهة معينة من الحياة، فهي آمنة مطمئنة سعيدة هادئة هانئة، تمتزج فيها المبادئ السامية مع العيش الرغيد، وليس من الضروري أن يتحقق ذلك بمال وفير أو جاه عريض أو سلطة قوية، وتزداد طيبة هذه الحياة بأن الله تعالى نسبها إليه مباشرة ﴿لَنُحْيِيَنَّهُ﴾ فالمؤمن العامل للصالحات يدّبره الله تعالى بحسن صنيعه، ويختار له الخير في جميع أموره، فالله تعالى ينصره في كل مواطن المواجهة وبكل أشكالها ﴿إِنَّا لَنَنْصُرُ رُسُلَنَا وَالَّذِينَ آمَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ يَقُومُ الْأَشْهَادُ﴾ [غافر: ٥١] ويتولى أمره ﴿نَحْنُ أَوْلِيَاؤُكُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ﴾ [فصلت: ٣١] ويزيل عنه الهم والحزن ويبشره ﴿أَلَا إِنَّ أَوْلِيَاءَ اللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ۞ الَّذِينَ آمَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ ۞ لَهُمُ الْبُشْرَى فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ لَا تَبْدِيلَ لِكَلِمَاتِ اللَّهِ ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾ [يونس: ٦٢-٦٤]. ومما يميّز هذه الحياة الطيبة حصول نور الفرقان في قلبه ﴿قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَى بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي وَسُبْحَانَ اللَّهِ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ [يوسف: ١٠٨] فيميّز بين الحق والباطل فيعرض عن الباطل ويتعلق بالحق ﴿وَيُحِقُّ اللَّهُ الْحَقَّ بِكَلِمَاتِهِ﴾ [يونس: ٨٢]. وغير ذلك من المنن الالهية العظيمة، وتتحقق بها استجابة لدعائهم ﴿وَمِنْهُمْ مَنْ يَقُولُ رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الْآخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ﴾ [البقرة: ٢٠١].

وقد فُسِّرت الحياة الطيبة في الروايات بمعان عديدة: منها: القنوع(٢٣) كما عن أمير المؤمنين (عليه السلام) في نهج البلاغة والإمام الصادق (عليه السلام)، وكلها مصاديق لما يوجب الحياة الطيبة، أو إنها من آثارها على حياة الإنسان كقول ابن عباس: أنها السعادة(٢٤).

وتكون النتائج أوضح لو أن المجتمع عمل بهذا القانون فإن حياته الطيبة ستتجلى في الأمن والسلام والمحبة والتكامل والرفاه والإيثار، وسيزول عنه الظلم والطغيان والاستبداد والاستكبار والاستعباد وعبادة الأهواء والطواغيت، ولذا فإن هذه الحياة الطيبة ترتبت على العمل الصالح وليس الإيمان وحده، وهذه نتائج طبيعية لأنهم سيتصلون بالله تعالى وسيفيض عليهم من صفاته الحسنى بما يناسب درجاتهم، قال

التتمة في الصفحة الرابعة

---

(١٥) قبس قرآني القاه سماحة المرجع الديني الشيخ محمد اليعقوبي (دام ظله) على طلبة البحث ضمن دروسه التفسيرية كل اربعاء يوم ٢٢/شعبان/١٤٤٤ الموافق ١٥ /٣ /٢٠٢٣.

(١٦) ميزان الحكمة: ج ٣-ص٢٠٠٦

(١٧) بحار الانوار: ٦٧/ ٢١٣ عن غوالي اللئالي.

(١٨) الكافي: ٢/ ٢٢٣ ح٧.

(١٩) روي عن أمير المؤمنين (عليه السلام): قوله لكميل بن زياد النخعي (يا كميل، وأي الأنفس تريد أن أعرفك؟ قلت: يا مولاي هل هي إلا نفس واحدة؟ قال: يا كميل إنما هي أربعة: النامية النباتية، والحسية الحيوانية، والناطقة القدسية، والكلية الإلهية) (بحار الأنوار: ٥٨/ ٨٥).

(٢٠) الميزان في تفسير القران: ١٢/ ٣٤١.

(٢١) الميزان في تفسير القران:١٢/ ٣٤٣.

(٢٢) نهج البلاغة: خطبة ١٩٣.

(٢٣) نور الثقلين: ٣/ ٨٣، بحار الأنوار: ٦٨/ ٣٤٥.

(٢٤) الدر المنثور: ٥/ ١٦٤.

تتمة: أسباب انهيار الحضارات والدول

عوامل الضعف نخرت كيانه من الداخل خصوصاً بعد احتلاله أفغانستان عام ١٩٧٩ ودخوله في حرب مفتوحة مع الشعب الأفغاني المسلم، فانهار من الداخل بدون قتال وانحلّ الإتحاد عام ١٩٩١ وتشظّى إلى دول عديدة تشهد بعضها صراعات فيما بينها.

والحضارة الغربية سائرة اليوم بهذا الاتجاه خصوصاً بعد اتخاذ أكثر حكوماتهم قراراً بإباحة زواج المثليين وتغيير الجنس وهو عامل تخريب قوي لمقومات الأمة وهي الأسرة، كما أن التخلّي عن المبادئ الإنسانية السامية والتجرد من المعنويات ومن الإيمان بالله تعالى واليوم الآخر، والخواء الفكري والأيديولوجي الذي يعيشونه، وإشاعة ثقافة اللهو والمجون والعبث واللهاث وراء الشهوات وهوس التفاهات يسلب منهم القدرة على استمرار الحضارة، ويجعلهم مجتمعات كسولة مخدَّرة غير منتجة، لذا تجدهم يستعينون بالمهاجرين من البلاد الأخرى لتسيير حياتهم، وهذه كلها أمور تنسف أساس الحضارة، وسيأتي اليوم الذي يزيح هؤلاء المهاجرون سكان تلك البلاد ويحلّون محلّهم ﴿وَأَوْرَثَكُمْ أَرْضَهُمْ وَدِيَارَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ وَأَرْضًا لَمْ تَطَئُوهَا وَكَانَ اللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرًا﴾ [الأحزاب: ٢٧].

فعلينا أن نستيقظ ونحذّر من تسرّب هذه العناصر المدمّرة إلى مجتمعاتنا الإسلامية، بل علينا أن ننقل إليهم ما عندنا من منهج ربّاني يصلح البشرية ويسعدها لننقذهم مما هم فيه من الضياع.

تتمة: الإسلام يحقّق الرفاه في الدنيا والسعادة في الآخرة

تعالى ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ أَقَامُوا التَّوْرَاةَ وَالْإِنْجِيلَ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْهِمْ مِنْ رَبِّهِمْ لَأَكَلُوا مِنْ فَوْقِهِمْ وَمِنْ تَحْتِ أَرْجُلِهِمْ مِنْهُمْ أُمَّةٌ مُقْتَصِدَةٌ وَكَثِيرٌ مِنْهُمْ سَاءَ مَا يَعْمَلُونَ﴾ [المائدة: ٦٦] وقال تعالى في الأمم التي تنكّرت للإيمان والعمل الصالح فسُلبت نعمتا الغذاء والأمن ﴿وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا قَرْيَةً كَانَتْ آمِنَةً مُطْمَئِنَّةً يَأْتِيهَا رِزْقُهَا رَغَدًا مِنْ كُلِّ مَكَانٍ فَكَفَرَتْ بِأَنْعُمِ اللَّهِ فَأَذَاقَهَا اللَّهُ لِبَاسَ الْجُوعِ وَالْخَوْفِ بِمَا كَانُوا يَصْنَعُونَ﴾ [النحل: ١١٢] وقال تعالى: ﴿لَقَدْ كَانَ لِسَبَإٍ فِي مَسْكَنِهِمْ آيَةٌ جَنَّتَانِ عَنْ يَمِينٍ وَشِمَالٍ كُلُوا مِنْ رِزْقِ رَبِّكُمْ وَاشْكُرُوا لَهُ بَلْدَةٌ طَيِّبَةٌ وَرَبٌّ غَفُورٌ ۞ فَأَعْرَضُوا فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ سَيْلَ الْعَرِمِ وَبَدَّلْنَاهُمْ بِجَنَّتَيْهِمْ جَنَّتَيْنِ ذَوَاتَيْ أُكُلٍ خَمْطٍ وَأَثْلٍ وَشَيْءٍ مِنْ سِدْرٍ قَلِيلٍ ۞ ذَلِكَ جَزَيْنَاهُمْ بِمَا كَفَرُوا وَهَلْ نُجَازِي إِلَّا الْكَفُورَ﴾ [سبأ: ١٥-١٧].

﴿وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ فإن الله تعالى وعد عباده ﴿إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجْرَ مَنْ أَحْسَنَ عَمَلًا﴾ [الكهف: ٣٠] ﴿وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ﴾ [الأنعام: ٨٤] وإذا كان عملهم الصالح متفاوتاً في الحسن بحسب إقبال قلوبهم ونشاط جوارحهم وتهيئة الظروف المناسبة، فإن الله تعالى سيعطيهم الجزاء وفق أحسن عمل قدموه، كالأستاذ الذي يمتحن طلابه عده مرات ثم يحتسب لهم اعلى درجة أحرزوها، أو كتاجر محسن يأتي إلى صاحب بضاعة مختلفة في الجودة والسعر فيأخذها كلها بسعر أفضلها، هذا بلحاظ عملهم، أما بلحاظ كرم الله تعالى وفضله فإن حسن الجزاء سيزداد بغير حساب ﴿مَثَلُ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنْبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلَ فِي كُلِّ سُنْبُلَةٍ مِائَةُ حَبَّةٍ وَاللَّهُ يُضَاعِفُ لِمَنْ يَشَاءُ﴾ [البقرة: ٢٦١] فيكون المعنى بأحسن مما كانوا يعملون وهذا معنى ثانٍ للأحسنية، ويمكن أن يكون المعنى أنهم إذا كان في عملهم طاعة ومباح إحتسب المباح طاعة كقول النبي (صلى الله عليه وآله): (ونومكم فيه عباده) وفي وصيته (صلى الله عليه وآله) لأبي ذر أن النكاح يكون عبادة وفي بعض الأحاديث أنه إذا فاتته طاعة لمرض ونحوه كتبت له وهكذا.

وهنا معنى رابع بأن يكون الأحسن بمعنى الحسن المحض مقابل السيئ فيكون المعنى أن الله تعالى يجزيهم على أعمالهم الحسنة فقط أما السيئة فلا يحاسبهم عليها لأنه سبحانه سيغفرها لهم برحمته ﴿وَمَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَى وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُولَئِكَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ يُرْزَقُونَ فِيهَا بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ [غافر: ٤٠] أي لا يحاسبهم عليها أو يبدلها حسنات ﴿فَأُولَئِكَ يُبَدِّلُ اللَّهُ سَيِّئَاتِهِمْ حَسَنَاتٍ﴾ [الفرقان: ٧٠].

والوعد بالحياة الطيبة في الدنيا يدعونا إلى تصحيح أسلوب الخطاب الديني فإننا حين ندعو الناس إلى الالتزام بالدين والعودة إلى الله تبارك وتعالى نقدّم لهم وعوداً بالجزاء في الآخرة بأنهم سيدخلون الجنة ويتنعمون بها، وهذا لا يكفي لإقناع الناس بالدين لأنهم أبناء هذه الدنيا ﴿كَلَّا بَلْ تُحِبُّونَ الْعَاجِلَةَ﴾ [القيامة: ٢٠] وهم يفكرون في تحسين أوضاعهم المعاشية ويسيرون خلف من يضمن لهم ذلك فلا بد أن تبيّن لهم أن الدين ليس فقط مشروعاً لإصلاح الآخرة بل هو مشروع لسعادة الدنيا أيضاً، وهذا منهج قراني، فإنه في أوائل البعثة الشريفة لما دعاهم إلى عبادة الله تعالى كفل لهم أهم حاجتين الغذاء والأمن، قال تعالى: ﴿فَلْيَعْبُدُوا رَبَّ هَذَا الْبَيْتِ (٣) الَّذِي أَطْعَمَهُمْ مِنْ جُوعٍ وَآمَنَهُمْ مِنْ خَوْفٍ﴾ [قريش: ٣-٤] بل إن أولَ إنسان خلقة الله تبارك وتعالى وهو النبي آدم (عليه السلام) أبو البشر تعهد الله تعالى له بذلك قال عز وجل: ﴿إِنَّ لَكَ أَلَّا تَجُوعَ فِيهَا وَلَا تَعْرَى (١١٨) وَأَنَّكَ لَا تَظْمَأُ فِيهَا وَلَا تَضْحَى﴾ [طه: ١١٨-١١٩]، وقد رغّب الله تعالى المؤمنين في الجهاد بثواب الآخرة وغنيمة الدنيا، قال تعالى: ﴿وَعَدَكُمُ اللَّهُ مَغَانِمَ كَثِيرَةً تَأْخُذُونَهَا فَعَجَّلَ لَكُمْ هَذِهِ وَكَفَّ أَيْدِيَ النَّاسِ عَنْكُمْ﴾ [الفتح: ٢٠].

ومن يتتبع أحاديث النبي واله (صلوات الله عليهم أجمعين) يجد هذه الرؤية واضحة، مثلاً في قضية الزواج تجد الأحاديث الأخروية كقول النبي (صلى الله عليه وآله): (من أحب أن يتبع سنتي فإن من سنتي التزويج)(٢٥) وقول الإمام الصادق (عليه السلام): (ركعتان يصليهما المتزوج أفضل من سبعين ركعة يصليها أعزب)(٢٦)، وتجد أيضاً حديث الإمام الباقر (عليه السلام) عن جده رسول الله (صلى الله عليه وآله) قال: (اتخذوا الأهل فإنه أرزق لكم)(٢٧) وقال الإمام الصادق (عليه السلام) لمن شكا له الحاجة: (الرزق مع النساء والعيال)(٢٨).

أو قضية طلب العلم فقد وردت فيه أحاديث كقول النبي (صلى الله عليه وآله): (طلب العلم فريضة على كل مسلم ومسلمة)(٢٩) وقول أمير المؤمنين (عليه السلام): (الشاخص في طلب العلم كالمجاهد في سبيل الله)(٣٠) كما ورد فيه مثل قول النبي (صلى الله عليه وآله): (من تفقه في دين الله كفاه الله همه ورزقه من حيث لا يحتسب)(٣١).

ولا بد من الانتباه هنا إلى أن الأغراض الدنيوية يجب أن تكون في طول نية القربة إلى الله تعالى وتحت سقفها كما يقال، وليس في عرضها على نحو التشريك فضلاً عن كونها هي الغاية، فإنه خلاف الإيمان والإخلاص الذي اشترطته الآية الكريمة وغيرها، خُذ مثلاً حديث الإمام الصادق (عليه السلام) عن طلب العلم: (من أراد الحديث لمنفعة الدنيا لم يكن له في الآخرة نصيب، ومن أراد به خير الآخرة أعطاه الله خير الدنيا والآخرة)(٣٢).

وهكذا تجد عبادات كثيرة جُعِلَ جزاؤها دنيوياً معجلاً كتحصيل الذرية أو التوسعة في الرزق أو تفريج الهموم والغموم أو السعادة الزوجية أو راحة البال وغير ذلك، وهو لا ينافي الإخلاص وقصد القربة وتصحيح ذلك أنها من باب الداعي إلى الداعي أي أن الداعي إلى الصلاة تكون القربة إلى الله تعالى وأن الداعي إلى هذا الداعي هي هذه الحاجات والمطالب المعجَّلة.

ومن يقرأ الأهداف التي أعلنها الإمام الحسين (عليه السلام) لخروجه يجد فيها إقامة السنة وإماتة البدعة والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ويجد إلى جنبها إقامة العدالة الاجتماعية وتوفير الأمن وحرية التعبير عن الرأي وسائر حقوق الناس وتوزيع الثروات على الشعب بالعدل والعمل بالقانون وإبطال إمامة الجور ونحو ذلك من الأغراض التي تلبي الاحتياجات العاجلة للناس.

---

(٢٥) وسائل الشيعة: ٢٠/ ١٧ ط. مؤسسة أهل البيت (عليهم السلام).

(٢٦) وسائل الشعة: ٢٠/ ١٨.

(٢٧) وسائل الشيعة: ٢٠/ ١٩.

(٢٨) وسائل الشيعة: ٢٠/ ٤٤، ح ٤، ٥.

(٢٩) تنبيه الخواطر: ٢/ ١٧٦ ميزان الحكمة: ٦/ ١٥٦.

(٣٠) ميزان الحكمة: ٦/ ١٥٧.

(٣١) كنز العمال: ح ٢٨٨٥٥، ميزان الحكمة: ٦/ ١٥٧.

(٣٢) الكافي: ١/ ٤٦، ح٢، ميزان الحكمة: ٦/ ١٦٤.

يمكنكم إرسال إستفتاءاتكم على عنوان مكتب المرجع الديني سماحة الشيخ محمد اليعقوبي (دام ظله)

العراق / النجف الأشرف / نهاية شارع الرسول (صلى الله عليه وآله) أو على عنوان البريد الألكتروني : com

موقعنا على الأنترنت : www.yaqoobi.com

جميع الحقوق محفوظة لموقع سماحة المرجع الديني الشيخ محمد اليعقوبي